فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ولشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومحله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لعلل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر مسجع لافقاله

﴿ السموات السبع . وكون الاختلاف رحمة ﴾

(س ٢٧ و٢٨) من م . ب . ع . في الازهر

حضرة العلامة الناصر للكتاب والسنة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر حفظ الله والمسلمين بوجوده

بعد اهداء واجبات التحية والاحترام أرجو منكم الجواب عن الاسئلة الآتية في المنار تعميما للنفع ولكم الفضل والشكر وهي .

(١) ما معنى سبع سموات طباقا في قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) وما قولكم في قول أهل الجغرافيا : ان السموات ليست بأجرام وانما هي أهوية وفسروا السماء بمعناها اللغوي وهو « كل ما علاك فهو سماء » فهل هذا القول ينافي تلك الآية وآية (أولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) أم لا ؟ وقولهم : ان الامطار تتكون من ماء البحار . وهل يجوز لهم ولمن تبعهم اعتقاد ذلك كله اعتماداً على علمهم وخبرتهم ؟ افيدوني بما هو الحق وان سبق لكم البحث عن هذه المسألة في المنار لانها منشأ لتكفير من يجرأ به معتقد ذلك .

(٢) ما مراد قوله صلى الله عليه وسلم (اختلاف امتي رحمة) عن ابن عباس مرفوعا بلفظ (اختلاف أصحابي لكم رحمة) فهل لي أن أقول ان في أختلاف امته (ص) رحمة انما هو اختلافها قبل مجيء البينة أو لعدم وجودها أصلا وان وجدت

كان اختلافها ضررا لا رحمة وكذا يجوز الاختلاف بين المسلمين قبل مجيء البينة وان اختلفوا بعد مجيئها وتبينها كانوا آثمين تاركين لهداية القرآن لقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) هذا واقبلوا فائق سلامي واحترامي .

(المنار) أما الجواب عن السؤال الاول فقد سبق بيانه في المنار، ونقول فيه ما يفتح به الآن: السماء في اللغة ما كان في جهة العلو وأطلق في القرآن على السقف وعلى السحاب والمطر وعلى مجموع ما نرى فوقنا من الكواكب في فلكها وبروجها، وسماها بناء وقال بناها، وبيناها، والمعنى ترتيب أجزائها وتسويتها كما يبنى الجيش والكلام، قال في الاساس وكل شيء صنعته فقد بنيته . وأشار أن منها القربى التي تعظم أبصارنا بزينتها ومنها البعدى التي لا نراها . وهو يذكر السماء بلفظ المفرد غالباً بالمعنى الذي ذكرناه آنفا وهو مجموع ما نراه في الافق فوقنا . وذكرها بلفظ الجمع وخصه بسبع في عدة آيات، فالمراد بالجمع، هذه السبع، وعبر عنها بالطباق كما في آية سورة الملك المذكورة في السؤال، وبالطرائق فقال في أوائل سورة المؤمنين (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وسمى هذه الطرائق حبكا على التشبيه فقال في اوائل سورة الذاريات (والسماء ذات الحبك) وهي الطرائق المعهودة في الرمل، فالسبع الشداد والطباق والطرائق والحبك تعبير عن شيء واحد معروف عند العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وقد سمى هذه السبع سموات لان كل واحدة منها تعلو المخاطبين ويصعدون اليها نظرهم من فوق، ووصف بها السماء المفردة في آية سورة المؤمنين لان جهة العلو أو الخليقة التي في جهة العلو تشتمل عليها، كما قال (والسماء ذات البروج) وقال (والسماء ذات الرجع) والبروج منازل الكواكب وهي بهذا المعنى أمور اعتبارية كالحبك والطرائق، والرجع المطر وهو جسم مادي . يختلف التعبير باختلاف الاعتبار،

ذهب بعض الغافلين الذين يظنون ان الله تعالى خاطب الناس بما لا يفهمون، وأقام عليهم الحجة العقلية بما لا يعقلون، إلى ان السماء والسموات من عالم الغيب كالجنة والنار فلا نعرف حقيقتها وانما يجب الايمان بها إذعانا لخبر الوحي، ولو كان الامر كذلك لما ذكرت في الآيات التي يقيم الله بها حجته على عباده ليعلموا انه الخالق المتفرد بالخلق والابداع، والعلم المحيط، والحكمة البالغة، والقدرة والمشيئة، كما استدل على ذلك بالارض وما فيها، فقرن السماء بالارض وبالابل والجبال وغير ذلك من عوالم الارض

السماء اسم جنس يطلق على جهة العلو وعلى كل مافيها والقرآن هي التي تعين

المراد فاذا سمع العربي قوله تعالى في سورة الحج (من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) فهم ان السماء هو سقف البيت لانه هو الذي يمد السبب أي الحبل اليه ويعلق ويربط به من يراد شنقه ثم يقطع .

واذا سمع قوله تعالى في سورة نوح (يرسل السماء عليكم مدرارا) فهم ان المراد بالسماء المطر ، وهذا الاستعمال كثير في كلامهم * اذا نزل السماء بارض قوم * واذا سمع قوله في سورة ابرهيم يصف الشجرة (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فهم ان السماء جهة العلو . واذا سمع قوله (أنزل من السماء ماء)فهم ان السماء هي السحاب ، لا لأن الله تعالى وضح ذلك بقوله في وصف تكوين السحاب (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي فترى المطر يخرج من اثناء هذا السحاب بخلله منه ، بل لأن ذلك هو الذي يفهمه أهل اللغة من علم منهم بهذه الآية ومن لم يعلم .

ومن قال من الجاحدين كما حكى الله عنهم « فأمطر علينا حجارة من السماء » « فأسقط علينا كسفا من السماء » لم يكونوا يعنون بالسماء عالما غيبيا لا يعرف الا بالوحي وانما كانوا يعنون بالسماء الجوّ الذي فوقهم

ذكرت السماء في أكثر من مئة موضع في القرآن بهذه المعاني ولم يشتبه أحد من العرب في فهم شيء منها لا مؤمنهم ولا كافرهم . ولم يفهموا من السموات السبع والطرائق والحبك والطباق الا الكواكب السبع السيارة ومداراتها في أفلاكها التي تشبه طرق الرمل يسلكها السفر في المواسي والبوادي ، وخصها بالذكر لكثرة رصدهم لها واهتدائهم بشارقها ومغاربها في أسفارهم ، هذا ما كانوا يعرفونه وما يتبادر الى أفهامهم من إطلاق القول ، ولو أريد به عالم غيبي لا يرى ولا يعرف الا من الوحي لما ذكر في سياق الاستدلال كما تقدم ولما قال في سورة الرعد (خلق السموات بغير عمد ترونها) وما في معناها كقوله في سورة ق (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) بل كان يذكر ذلك في سياق الايمان بالغيب والكلام عن الآخرة.

وكانوا يسمون السبعة السيارة الدرائ بالهمز وقالوا كوكب دُرّيٌّ بالهمز فيقال بغير همز . وقيل غير المهموز نسبة الى الدر يشبهونه باللؤلؤ في حسنه وصفائه وفيه نزاع . والدريء بالهمز هو الذي يدرأ من المشرق الى المغرب وهو مضيه ومنه . ويسمونها الشهب . وأما الخنس الكنس فالمشهور أنها ما عدا الشمس والقمر من

الدراوي لانها هي تخنس أي تنقبض وتكنس وتختفي كاختفاء الظبي في الكناس عند طلوع الشمس . وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وقد اكتشف علماء الفلك في هذا العصر سيارات أخرى مما استحدثوا من مرايا المراصد المقربة البعيد . وقال بعض الغافلين لماذا ذكر الله تعالى تلك السيارات السبع فقط وهو يعلم أنه خلق غيرها ؟ وقد علمت حكمة ذلك مما تقدم وهي إقامة الحجة على الناس بما يعرفون دون ما كانوا يجهلون ، فان المجهول لا تقوم به الحجة ، وقد يكون لقوم فتنة وفي الحديث « ما انت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » ذكره مسلم في مقدمة صحيحه

﴿ حديث اختلاف امتي رحمة ﴾

قال الحافظ السخاوي زعم كثير من الائمة انه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً واشعر بان له أصلا عنده . ونقل تلميذه الديبع عن السيوطي أن نصر المقدسي ذكره في الحجة والبيهقي في الرسالة الاشعرية بغير سند وان الحليمي والقاضي حسينا وامام الحرمين ذكروه في كتبهم .

وقال ابن حجر الهيتمي في الدرر المنتثرة : حديث « اختلاف أمتي رحمة » الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعا والبيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد (من) قوله وعن عمر بن عبد العزيز قال : ما سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة (قلت) هذا يدل على ان المراد اختلافهم في الاحكام وقيل المراد اختلافهم في الحرف والصنائع (كذا) ذكره جماعة. وفي مسند الفردوس من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « اختلاف أصحابي رحمة لكم » قال ابن سعد في طبقاته حدثنا قيصر بن عقبة حدثنا أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس انتهى

(المنار) ما عزاه السخاوي الى كثير من الائمة هو الصواب وكثيراً ما نرى المتأخرين يضعفون ويجبنون أمام ما يجدونه في كتب بعض المتقدمين مما لا يعرف له أصل فيهابون أن يردوه عملا بالاصول والقواعد المتفق عليها في رد كل حديث لا يعرف له سند يوثق به . وهذا البيهقي يقول ان القاسم بن محمد ذكره من قوله فما يدرينا ان بعض الناس سمعه منه فظن انه يرويه حديثا فرواه عنه فكان هذا سبب ذكره في الكتب التي ذكروا أصحابها ؟

وأما رواية الديلمي في مسند الفردوس عن جويبر عن الضحاك فلا تصح قال ابن معين في جويبر هذا ليس بشيء وقال الجوزجاني لا يشتغل به وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك الحديث . وشيخه الضحاك هو ابن مزاحم البلخي المفسر فقد اختلفوا في حديثه ولكنهم صرحوا بأنه لم يلق ابن عباس ولا أخذ عنه فيكون الحديث منقطعا

وأما ماعزي الى عمر بن عبد العزيز فهو لا حجة فيه صح عنه أو لم يصح ، على ان الظاهر انه يريد اختلافهم فيما لابد من الخلاف فيه لكونه طبيعيا وهو الخلاف في المشارب والعمل بالدين من الاخذ بالعزائم والرخص فلو كانوا كلهم متشددين مبالغين في الزهد والنسك كأبي ذر وفي العبادة وكبح الحظوظ والشهوات كعثمان بن مظعون وعبد الله ابن عمرو لوقعت هذه الامة في الغلو والحرج الذي وقع فيه بعض الاحبار والرهبان من أهل الكتاب من قبل ، ولو كانوا كلهم كمعاوية وعمرو بن العاص في حب النعيم والزينة والرياسة لكان ذلك فتنة لمن بعدهم في الدنيا يسرعون بها الى ترك الدين أو يجعلونه ماديا محضا لان القدوة أشد تأثيراً في نفوس البشر من التعاليم القولية

استكبر بعض العلماء ان يجعل الاختلاف في الدين أو في الامارة والسلطان رحمة ، وقد ثبت بالشرع والعقل والتجربة انه نقمة لا تزيد عليها نقمة ، ولذلك قالوا ان المراد بالحديث — أي على فرض صحته — الاختلاف في الحرف والصناعات ، ولهم ان يستكبروا ذلك فان القرآن ماشدد في شيء كما شدد في الشرك وفي الاختلاف والتفرق ، والآيات في هذا كثيرة تقدم تفسير بعضها وسرد الكثير منها في التفسير وغير التفسير من المنار فليراجعه السائل في تفسير آية « تلك الرسل » من أول الجزء الثالث ، وتفسير « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » من الجزء الرابع ، ومظانه من المنار

كان أهون الاختلاف اختلاف الصحابة وغيرهم من السلف في فهم الاحكام مع عذر كل منهم لمخالفه بحيث لم يكونوا شيعا تتفرق في الدين ، وتتعصب كل شيعة منها لبعض المختلفين ، فان مثل هذا الاختلاف طبيعي في البشر لا يمكن اتقاؤه كما بيناه في التفسير وهو من أولئك الاخيار لم يكن نقمة ولا ضارا ، ولا يظهر ايضا كونه رحمة يمن الشارع بها على الناس ، ولكن لما جاء دور التقليد والتشيع والتعصب للمذاهب حلت النقمة ، وتفرقت الكلمة ، وذهبت الريح والشوكة ، الى أن وصلنا الى هذه الدرجة من الضعف . ذهب ملكنا وصارت الممالك الكبيرة من ممالكنا تقع في قبضة الاجانب فلا يبالي بهم سائر المسلمين ، فأين الوحدة والاخوة والتواد والتراحم وتمثيل مجموعهم بالجسد الواحد ؟؟ كل ذلك قد زال وكان مبدأ زواله ذلك الاختلاف

﴿ أسئلة من أعرابي بالشرقية ﴾

(ص ٢٩ ـ ٣١) من صاحب الامضاء في مركز أبو كبير بالشرقية

حضرة الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا المحترم

نرجو من حضرتكم الاجابة على المسائل الآتية بواسطة منار الاسلام المنير ولكم الفضل وهي

(١) اذا أصيب رجل بالجنون وكان متزوجاً فبأي عدة تعتد زوجته

(٢) الصحيح ما يقال من ان لكل ولي متوفى ملك (كذا) ينوب عنه لقضاء الحاجات التي يطلبونها الناس من الله بواسطة الولي كما يقولون علماء الارياف بذلك

(٣) من ابتدع الصاري الذي يذكرون الله حوله أهل الطرق وهل يجوز لهم الذكر برقص وتثن وتواجد وزعيق وترجمة يسمونها بلسان الحال. ودمتم محفوظين

انور محمد قريط

من قبيلة أولاد علي بناحية فراشه

الجواب

﴿ زوجة المجنون ﴾

اذا جن الرجل تبقى امرأته على عصمته ولكن يثبت لكل من الزوجين حق الفسخ اذا جن الآخر . والعدة تتعلق بمن في المرأة لا في الزواج الا انها في الوفاة يجب عليها أن تحد على زوجها فجعل أجل العدة والحداد واحداً إكباراً لحقوق الزوج والوفاء له. فاذا فسخ نكاح المجنون اعتدت امرأته عدة المطلقة

﴿ دعوى ان لكل ولي ميت ملكا يقضي الحاجات عنه ﴾

من أصول التوحيد ان يدعى الله تعالى وحده في قضاء الحاجات وان يعتقد انه هو الذي يقضيها وحده بلا واسطة معين ولا مساعد ، وان له تعالى سننا في ربط الاسباب بالمسببات ، وقد هدى الله الناس الى ان يعرفوا هذه الاسباب بحواسهم وعقولهم

فأعرفهم بها أكثرهم انتفاعاً بنعم الله تعالى في هذا العالم، ومن أصول العقائد ان الملائكة من عالم الغيب وان الله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضاه من رسله فيخبرهم بما شاء من نبأ الغيب لهداية عباده كالملائكة والجنة والنار ، ولا يجوز لمؤمن ان يفتات على الله ورسوله في الخبر عن عالم الغيب فيقول إنه يوجد ملك يعمل كذا وملك يعمل كذا لان هذا من أقبح التكذب على الله عز وجل . ونحن لم نجد في كتاب الله ولا في الاحاديث الصحيحة عن رسوله (ص) ما يثبت وجود ذلك الملك الذي يقولون انه يقضي حاجات الناس التي يسألونها بواسطة الولي على أن هذا السؤال غير مشروع كما اشرنا الى ذلك (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون)

﴿ ابتداع الصاري الذي يذكرون عنده ﴾

لا نعرف من ابتدع نصب هذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه الموالد ولا أعرف مثل هذا الا في هذه البلاد ولا أدري أيوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الاخرى أم لا

﴿ الذكر بالرقص والتثني والتواجد والصياح ﴾

الذكر بهذه الكيفية مبتدع في الملة وفيه عدة منكرات بينها كثير من العلماء وقد عذر بعضهم من يغلبه حاله من الافراد فيصدر منه بعض هذه المنكرات بغير اختيار ولكنهم لم يعذروا من يتعمدون الاجتماع لذلك ويأتونه مختارين تعبدا به كما هو المعهود لهؤلاء المقلدة المعروفين في هذا الزمان وقد فصلت هذه المسألة تفصيلا في كتابي «الحكمة الشرعية» وذكرت فيها أقوال المؤلفين المنتسبين الى المذاهب المختلفة ، ولم يقل أحد من العلماء بأن ذلك من الدين ، ولا أنه قربة يتقرب بها الى رب العالمين ، وإنما أباحه بعض المتساهلين ، ومن الفتاوى التي ذكرتها هنالك ما في تنقيح الحامدية لابن عابدين المشهور ، قال بعد نقول عن عدة من العلماء في تلك الامور كلها (منها قول مصلح الدين اللاري بإباحة الرقص بشرط عدم التكسر والتثني) ما نصه : والحق الذي هو أحق ان يتبع ، وأحرى أن يدان له ويستمع ، ان ذلك كله من سيئات البدع، حيث لم ينقل فعله عن السلف الصالحين ، ولم يقل بحله أحد من الائمة المجتهدين، رضي الله عنهم اجمعين ، قال الاستاذ السهروردي في عوارف المعارف وناهيك به من

كتاب ، وقد تكلم على السماع في خمسة ابواب منه بما هو حق التحقيق ولب اللباب، وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان ، وقعود المغني بدفه ، والمتشبب بشبابته ، وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه ، لا شك بأن ينكر ذلك من حال رسول الله (ص) وأصحابه (رض) ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما اهملوها ، فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة احوال رسول الله (ص) واصحابه والتابعين ، ويستروح الى استحسان بعض المتأخرين ، وكثير يغلط الناس بهذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين، يحتج بالمتأخرين، فكان السلف أقرب الى عهد رسول الله (ص) وهديهم اشبه بهدي النبي (ص) اه وهو الصواب الذي نقول به (راجع ص ٩٢٦ من المجلد الاول طبعة ثانية)

﴿ العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي ﴾

(١)

الدول الاوربية التي ورثت ملك المسلمين الواسع في المشرق والمغرب أربع : انكلترا وهولندة وروسية وفرنسة . كل دولة منهن سائدة على أكثر مما تسود عليه الدولة العثمانية من المسلمين . فمسلمو الهند من رعية الانكليز قد بلغوا في الاحصاء الاخير تسعين مليونا وهم زهاء ثلث أهل الهند وكان لهم السيادة على جماهير الوثنيين، وهؤلاء الانكليز يسودون الملايين الكثيرة من المسلمين وغيرهم بأساء مختلفة فلهم مستعمرة الكاب وبلاد الترنسفال وفيهما كثير من المسلمين وقد جعلوا لهذه مجلسا نيابيا، ومثلها استرالية وزيلاندة فسيادتهم عليها ليست كسيادتهم على مملكة زنجبار الاسلامية، وناهيك بحكمهم السودان بعنوان الشركة مع الحكومة المصرية، وتصرفهم في مصر نفسها بسيطرة الاحتلال، وتصريحهم بأن القول الفصل في كل شيء فيها انما هو لحكومة ملك الانكليز ، وقد تجلى الحقيقة الواحدة في مظاهر مختلفة ، وتتشكل في صور متعددة، فيكون لكل مظهر في صورة أحكام خاصة به عند الحكماء ، وان اشتركت كلها في مقومات الحقيقة الجنسية أو النوعية دون مشخصاتها ، فالانكليز أقدر أمم الارض على الاستعمار وأبرعهم في السيادة على الامم ، لانهم يراعون الحقائق في أجناسها وفصولها المقومة ، وفي مشخصاتها

المختلفة ، ويسايرون الطبيعة في سننها ، ويحكمون العقل أكثر مما يحكمون القوة فيها ، ولذلك سادوا على أمم وشعوب وقبائل كثيرة تعد بمئات الملايين ، واستفادوا من ثروتها وخيراتها مالم يستفده غيرهم من المستعمرين ، ولم يعتمدوا بالقوة أحدا ممن سادوا عليهم أن يرتقوا في العلوم والاعمال ، ولا هم يتعمدون ترقيتهم فيها الا بمقدار مايفيدهم هم من توسيع دائرة الثروة ، وقد يحولون بينهم وبين مافوق ذلك من الترقي من حيث لا يشعرون

يليهم في هذه البراعة الهولانديون فدولتهم على صغرها تتصرف في أكثر من ثلاثين مليونا من المسلمين تسخرهم لمنافعها وتستعملهم في تلك الجزائر الخصبة (جزائر جاوه) كما تستعمل الانعام ، وهم أجهل من رعايا الانكليز وأضعف عقولا ونفوسا وليس لهم من الاستعداد الموروث ولا من سابقة العلم والمدنية والسلطان مثل ماللهنود والمصريين ، ولذلك لاتحس منهم بحركة ولا تسمع لهم ركزا ، ومن عجائب خمولهم وضعف استعدادهم أن الذين يرحلون منهم لطلب العلم يقيمون السنين الطوال بمكة أو مصر ثم يعود من يعود منهم الى بلاده وهو لايعرف من أمر العالم الاسلامي ولا من أحوال هذا العصر شيئاً قط ، لانهم يحبسون انفسهم على أفراد من متفقهة الشافعية يتعبدون ببعض كتب متأخري الشافعية كابن حجر الهيتمي والرملي ، فان تجاوزوها فالى كتب الشيخ زكريا الانصاري والنووي .

لو جردت من هذه الكتب مايعمل به الذين يتعلمون أحكام المذهب من الجاويين وغيرهم من مسائل العبادات وما يقرب منها من الاحكام الشخصية لامكنك جمعه في مئة ورقة يمكن تعلمها في شهر أو شهرين أو ثلاثة ، ولتكن مئتي ورقة ، وليكن تعلمها في سنة ، فما بالهم يقضون السنين الطوال في مدارسة أحكام المعاملات كالبيوع والشركات واحكام الجنايات والجهاد والرقيق وغير ذلك مما لايعمل ولا يحكم به أحد في بلادهم ويمر العمر ولايحتاجون الى معرفة شيء منه ؟؟ ولا يعرفون شيئا في هذا الزمن من علم القرآن وسنن الله تعالى في الامم كأسباب قوتها وضعفها وعزها وذلها وسيادتها على غيرها وسيادة غيرها عليها؟؟ (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) (١) بلى قد ساروا ولكن لم ينظروا ولم يتفكروا ولم يعتبروا كما أمروا فهم لايعلمون من أمر عاقبة الذين من قبلهم شيئا ، لايستقرون ولا يختبرون شيئا من أحوال الامم بأنفسهم ، ولا يقرءون التاريخ وعلم تقويم البلدان (الجغرافية) ولا علم الاجتماع وحقوق الدول والامم ، بل تراهم يقيمون السنين في مصر ولا يقرءون جرائدها ،

(١) في سورة يوسف والمؤمن ومحمد

ولا يعرفون طرق الادارة وشؤون العمران فيها ، والقرآن يحثهم على السير في الارض لينظروا ويتفكروا ويعتبروا لا ليتدارسوا كتب ابن حجر والرملي فقط (٢٢ : ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

كانت هولندة قانعة وهي دولة صغيرة في أقاصي الشمال باستعمار هؤلاء الملايين في الجزائر الاستوائية من الجنوب وتسخيرهم في استغلال أرضهم لها وتركهم في شؤونهم الروحية والاجتماعية ، لا توقظهم من نومهم ولا تدع أحدا يوقظهم ، ثم انها تصدت في هذه السنين الاخيرة الى تسخير أرواحهم وقلوبهم لها ، لتأمن في المستقبل استيقاظهم على يد غيرها ، فوجهت عنايتها الى تنصيرهم وتعليمهم لغتها ، أي الى استبدال مقوماتهم الملية بغيرها

كان يروعها ما تجده من شدة تمسكهم في دينهم وتعريضهم أنفسهم للهلاك في سبيل الحج الى بيت الله الحرام فظنت كما يظن بعض المغرورين من المسلمين ان تنصير المقلدين عسير لان التقليد لا يصغي للبرهان ولكن الهولنديين يعلمون ما يجهله هؤلاء المغرورون من طباع البشر وأخلاقهم ومنها ان الميل الى الاستدلال طبيعي فيهم فاذا منعوا باسم الدين من البحث في البرهان والدليل على أصول دينهم وفروعه فانهم لا يمنعون من التفكر فيما يلقى اليهم من الدلائل على بطلان هذا الدين الذي لا يعرفون حقيقته ، وان هذه الدلائل تروج عند الجاهلين وان كانت مقدماتها تؤلف تارة من الجهل والمغالطة ، وتارة من المقدمات اليقينية على بطلان بعض التقاليد التي يسمونها اسلاما وما هي من الاسلام في شيء

سلك الهولنديون لتنصير المسلمين طريقا لم يسبقهم اليه أحد فيما نعلم وقد نجحت التجربة التي جربوها في { دينو } وهي بلدة بين بتاوي وبوكر قوسها زهاء أربعة آلاف ، بنوا فيها الدعاة (المبشرين) ومنعوا مسلمي العرب وغيرهم من المستعربين أن يدخلوها ألبتة . وقد جمع أولئك المبشرون جميع ما يعرفون من سيئات مسلمي تلك البلاد وخرافاتهم وضلالاتهم التي راجت بينهم باسم الدين ، وسعى شيوخ الطريق الدجالين ، وبينوا لاهلها فسادها وكون الدين الذي جاء بها لا بد أن يكون باطلا مثلها ، ومسخوا لهم بعض أحكام الاسلام ومسائله بتأويلها وصرفها عن حقيقتها ، وأبدوا ذلك كله بسوء حال المسلمين وكونهم أحط من النصارى علما وعملا وآدابا وثروة وسيادة وأوهموهم أنه لا علة لذلك غير الدين . فقصر جميع أهل تلك البلدة وبغض اليهم المبشرون المسلمين حتى ان المسلم اذا دخلها لا يجد له فيها مأوى ولا يسقيه أحد فنجان قهوة

ولا جرعة ماء بل لايجد من يقابله ولا من يكلمه ، فهل بعث المسيح ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس الى هذا الحد ، أم دين السياسة الاوربية عليها الملام شيء ودين المسيح عليه السلام شيء آخر ؟

سر هولندة نجاح هذه التجربة فبثت دعاة النصرانية في تلك الجزائر ، يدعون الاعرق منها في الجهل فالاعرق ، والابعد عن حقيقة الاسلام فالابعد ، واذا دامت الحال على هذا المنوال، فستكون جاوه كما قال ذلك السائح العاقل اندلسا ثانية،ولاعجب فمسلمو جاوه أجهل المسلمين بالاسلام وأشدهم خمولا وقد استيقظ أناس من المسلمين في كل قطر اسلامي كبير وانشأوا يوقظون غيرهم ولا يزال مسلمو جاوه نائمين يغطون ، وقد ابتلوا بأناس من العرب يدعون العلم وماهم من أهله يبغضون اليهم العلم الصحيح الذي يعرفهم أنفسهم ومكانتهم من حكومتهم ومن سائر الناس ، ويحرمون عليهم إنشاء المدارس العلمية على الطرق العصرية المعروفة في مصر، وان يتعلموا غير تلاوة ألفاظ القرآن للتبرك وبعض أحكام الفقه ، وما يتعلم ذلك الا قليل منهم

اذا حرم هؤلاء الدجالون على المسلمين أن يعلموا أنفسهم مايقوم به أمر دنياهم ويحفظ به أمر دينهم في مدارس نظامية ، فهل يحرمون على حكومة هولندة ان تنشئ لهم مدارس تعلمهم فيها لغتها وما ترى فيه مصلحتها من علوم الدنيا ، وعلى دعاة النصرانية ان ينشئوا لهم مدارس أخرى ينصرونهم فيها؟ كلا ان قد شرعت الحكومة الهولندية في ضبط ما كان لرؤساء تلك الجزائر الذين يلقبون بالسلاطين {!!} من الارض والغابات والمرافق لتتولى هي استغلال ما كانوا يستغلونه ، وجباية ما كانوا يجبونه ، وتجعل رزقهم محصورا فيما تجود به عليهم من خزينتها كل شهر أوسنة وتقول إنها ستنفق ريع ذلك على المدارس التي تنشئها لتعليم الاهالي ، وقد وضعت قانونا جديدا لهذه المعاملة وهي تحمل أولئك السلاطين المساكين على اقراره وامضائه فمن لم يرض منهم بترك ما كان له من امتياز وساطة صورية(وأن يكون كعمال الحكومات الذين يعطون عند عجزهم راتب التقاعد (المعاش) عزلوه من سلطته ونصبوا مكانه شبحا آدميا آخر وسموه سلطانا ، وهي خير للرعية من أولئك السلاطين الذين لايمنعهم عن الظلم الا العجز

(روسية) مسلمو روسية أكثر من مسلمي البلاد العثمانية ويناهزون عدد مسلمي جاوه وأكثرهم من التتار والترك والجركس والقرغيز والفرس، وبعضهم يعد في القانون روسيا محضا والبعض الآخر من المستعمرات، ومنهم الجاهلون الغافلون الذين لا يعرفون من أمر العالم شيئا قط بل يعيشون كالاوابد والسوائم الا انهم أشداء شجعان لاضعفاء

كالجاويين ، ومنهم المغرورون بما عندهم من بقايا العلوم الاسلامية كالفقه الذي يرون انهم أغنياء به عن كل مافي العالم من العلوم الدينية والدنيوية ، ومنهم الذين دبت فيهم روح الحياة المالية وتوجهت نفوسهم الى الارتقاء الاجتماعي وأكثر هؤلاء من التتار ، وحكومتهم واقفة لهم بالمرصاد ، فلا يرضيها أن يرتقوا بدينهم ولغتهم ، ولا هي تستطيع ان تمصرهم ولا ان تبدل لغتهم ، بل عجز دعاة النصرانية في روسية عن تمصير أعرق مسلمي بلادها في الجهل ، وأبعدهم عن العلم ، لان حظ عامة مسلمي تلك البلاد من عقائد الاسلام واخلاقه وآدابه اكبر من حظ اكثر المسلمين في اكثر الاقطار فهم أرقى من الروسيين روحا وازكى نفسا وأعلى أدبا واكثر في الجملة كسباً ، وجذب الاعلى إلى الادنى عسير ،

اذا دبت في الامة روح الحياة فلا يزيدها الضغط والاضطهاد الا حياة وقوة لانه يلم شعثها ويجمع متفرقها ويزيل ما بينها من الاضغان والاحقاد ، والتنازع والخلاف ، ويجعلها إلبا واحداً على من ينازعها اسباب ترقيها ومادة حياتها ، فالمصلحة لروسية أن تدعهم يعملون لانفسهم ما شاؤا وان تظهر لهم الرغبة في ترقيهم بشرط اجتناب السياسة والتحيز الى دولة أخرى ، ومن مصلحتهم مواتاتها على ذلك واتقاء فتن السياسة ظاهراً وباطناً وحصر سعيهم في دائرة العلوم النافعة من دينية ودنيوية والاعمال التي ترقي الثروة مع التربية الاسلامية (راجع مقالة ألمانية والعالم الاسلامي في هذا الجزء)

(فرنسة) سكان المستعمرات الفرنسية أربعون مليونا أو يزيدون أكثرهم من المسلمين ، وقد أخطأت فرنسة في طريقة ادارتها وسياستها في الجزائر وظهر لها أنها قد أخطأت ولا يظهر لها الصواب ، وقد كتب ساستها وعلماؤها مما لا نحصي له عددا من المصنفات والمقالات في الاسلام والمسلمين ، والجزائر والجزائريين ، وذكروا آراء كثيرة فيما يراه كل كاتب أمثل الطرق لحكم المسلمين وما افاد ذلك شيئا

بذل الفرنسيون جهدهم في تمصير الجزائريين فلم يفلحوا ، وحاولوا أن يبدلوهم بلغة العرب لغة فرنسة فلم ينجحوا ، أخذت الحكومة أوقافهم ومكنت اليهود من املاكهم فصبروا ، جربت أخذهم بالسيئات لتفسد بأسهم وتأمن عاقبة استبدادهم ، ولم تجرب أخذهم بالحسنات ليلغوا رشدهم ، وترجح شكرهم وودهم ، ولعلها لولا طمع يهود الجزائر في مسلميها ، ومساعدة يهود باريس لهم وناهيك بنفوذهم فيها ، لوجد هناك من الأحرار من ألجأ حكومتها الى جعل الجزائر زينة بلاد المغرب في العمران ،

ومثابتها في العلم والعرفان ، واذا لكان ما تبغيه الآن ، من استعمار ما بقي في أيدي المسلمين في تلك الاوطان ، أقرب منالا ، واحسن حالا ،

كان أكبر خطأها الاستعماري في الجزائر إزالة صورة الحكم الاسلامي منها بازالة معناه وجعل الحكومة فرنسية محضة مع العلم بأن صفة الحاكمية هي أشد الصفات تمكنا في نفوس المسلمين فنزعها منهم يحدث في نفوسهم جرحا لايندمل ، ثم اقتدت بانكلترة بعض الاقتداء في استعمار تونس فسمت نفسها حامية لها لاحاكمة فيها، وأبقت لها أميرها (الباي) ولكنها لم تجعل له ولا لرجال حكومته من الامر شيئا قط لا صورة ولا حقيقة ، وكان إبقاؤه أحد الاسباب التي جعلت نصيبها من النجاح في تونس أوفر، وميزان السكون الى حكمها أرجح، حتى زعم بعض رجالها أنهم قطعوا رابطتها الاسلامية التي تربطها بمكة ، على أن تونس ما زالت كما كانت أوسع من الجزائر علماً بالاسلام ، فالعلوم الاسلامية ليست هي التي تبعد المسلمين عن الاوربيين ولكن الاوربيين هم الذين يبعدون المسلمين عن أنفسهم، وليس الاتفاق بينهم بالمحال وإنما هو من الممكنات التي يعرف طريقها أهل الرأي والبصيرة من المسلمين

وتريد فرنسة أن تتبع خطوات انكلترة في استعمار مملكة مراكش فقد كادت لها كيدها، وعبثت كما تشاء بقبائلها وسلطانها، ففاض طوفان الفتن واندفع السيل الأتي يقذف جلمودا بجلمود ، حتى حاصرت القبائل مدينة فاس والسلطان عبد الحفيظ فيها ، وتسعى لفرنسة ان تسوق جيشها اليها لانقاذ الاوربيين ، وحماية السلطان من الثائرين، كما فعلت انكلترة بمصر، فدخلت عاصمة المملكة الحسنية (ولم تمنعها كرامات مولاي ادريس من دخولها كما كان يقول المغاربة كما أن كرامات شاه نقشبند لم تمنع روسية من دخول بخارى كما كان يقول أهلها) ووكل السلطان الفقيه النحوي الاصولي المحدث الى القائد الفرنسي حمايته وحماية عرشه من أهل بلاده الثائرين كما فعل قبله الخديو توفيق باشا ، وقضى الله أمرا كان مفعولا

حذرنا مملكة المغرب الاقصى من هذه العاقبة في السنة الاولى من سني المنار وجزمنا بأنها اذ دامت على تلك الحال من الجهل والفساد فانها لابد أن تقع في يد أوربة ، وبينا لها طريق النجاة التي تحفظ استقلالها ، وأعدنا الذكرى وكررناها بعد ذلك، وكان المنار يرسل الى السلطان وكبار رجاله ولكنهم قوم لايعقلون، وقد أبسل السلطان الذي يسمونه جاهلا، ولم يعتبر السلطان الذي يسمونه عالماً ، بل أبسل المملكة بأسرها ، وتلك عاقبة الجهل والغرور ، ولله عاقبة الامور ،